الباب الأول

المقدمة

أ. خلفية البحث

تختلف مناهج تحليل الشخصيات الأدبية باختلاف توجهات الباحثين وأدواتهم النظرية، غير أن الملاحظ أن الدراسات الأكاديمية التي تتناول الشخصيات التي تعاني من اضطرابات نفسية خطيرة لم تولِ اهتماماً كافياً بالاستفادة من الأدوات التشخصية المعترف بها سريرياً، واكتفت في الغالب بمعالجة هذه الشخصيات باعتبارها عنصراً درامياً فحسب. وينتج عن ذلك فجوة بين التمثيل الأدبي والواقع النفسي الفعلي، مما يحول دون الكشف الشامل عن جوهر الصراع الداخلي للشخصية. العلاقة بين الأدب وعلم النفس علاقة وثيقة وقديمة. "كلاهما يعنى بقضايا الإنسان بوصفه كائناً حياً وكائناً اجتماعياً في آن واحد. وكلاهما يستخدم الأساس نفسه، وهو جعل التجربة الإنسانية مادة أساسية للدراسة والتحليل" Endraswara (٢٠٠٨,ص.١٥)

منذ أن لفت سيغموند فرويد الأنظار إلى دور اللاوعي في تشكيل السلوك الإنساني، مما فتح الباب أمام الدراسات البينية بين الحقلين (Al Husna & Huda, 2023). وفي سياق الأدب العربي الحديث، يلاحظ أن الرواية العربية المعاصرة لم تعد تكتفي بسرد الأحداث الخارجية، بل ولجت بقوة إلى أعماق الذات الإنسانية المأزومة، لتجعل من الشخصية الروائية مختبراً نفسياً يختبر فيه المبدع فرضياته حول الجنون والقلق والاضطراب (عيساوي، ٢٠٢٥)

والاضطرابات النفسية هي إحدى القضايا التي تثار كثيراً في العمل الأدبي. من خلال الأعمال الأدبية، يحاول المؤلف عادة التعبير عن البشر وجميع الأحداث التي تحيط بهم بناءً على واقع الحياة (Buana & Hasanah, 2025). ووفقاً للدليل التشخيصي والإحصائي للاضطرابات النفسية في طبعته الخامسة *DSM-5* , يتميز هذا الاضطراب الهوية التفارقي بوجود هويتين أو أكثر داخل الفرد الواحد، مصحوبة بفجوات في الذاكرة, وضعف في الإحساس بالذات, والقدرة على التحكم في السلوك *American Psychiatric Association*

ويرتبط هذا الاضطراب غالباً بصدمات نفسية عنيفة ومتكررة في مرحلة الطفولة، مثل الإيذاء الجسدي أو الجنسي أو الإهمال العاطفي الجسيم، حيث تعجز نفس الطفل عن استيعاب الألم فتلجأ إلى آلية التفارق كوسيلة دفاعية لا إرادية للبقاء (بونسيف، ٢٠٢٦). وعلى الرغم من ندرة هذا الاضطراب، إلا أن تأثيره على حياة المصابين به عميق وشامل، مما يجعله موضوعاً خصباً للاستكشاف الأدبي.

لم تتناول الأعمال الأدبية الكثيرة بعدُ موضوع الاضطرابات النفسية بشكل عميق. يشرح كتاب علم النفس غير العادي (*Abnormal Psychology*) لمؤلفته J.M.Hooley dkk (٢٠١٨,ص.٢٩٢) أن "اضطراب الهوية التفارقي (*Dissociative Identity Disorder*) الذي كان يُعرف سابقاً باسم 'اضطراب تعدد الشخصيات' (*Multiple Personality Disorder*)، هو اضطراب تفارقي دراماتيكي، وقد ظل لفترة طويلة محط اهتمام درامي في الأفلام السينمائية مثل (*Sybil*، *Mr. Brooks*، *Raising Cain*، *Dressed to Kill*)، وكذلك في وسائل الإعلام." وهو من أكثر الاضطرابات النفسية تعقيداً وإثارة للجدل في مجال الصحة النفسية.

ولماذا يعتبر هذا البحث مهماً وجذاباً؟ تكمن الإجابة في الطبيعة الفريدة لرواية "ناعومي وأخواتها" لهشام الخشن، التي تتجاوز التناول السطحي للمرض النفسي لتقدم تصويراً دقيقاً ومعقداً لاضطراب الهوية التفارقي. فالرواية لا تكتفي بسرد أعراض الاضطراب، بل تغوص في جذوره الممتدة إلى طفولة البطلة ناعومي، وتكشف عبر تقنية الاسترجاع *flashback* عن سلسلة الصدمات التي شكلت شخصياتها البديلة *Alters*. إن ما يجعل هذه الدراسة جذابة هو قدرتها على تطبيق معايير تشخيصية حديثة *DSM-5* على نص أدبي عربي معاصر، مما يسد فجوة منهجية في الدراسات العربية التي توقفت عند وصف الظاهرة أو استخدمت معايير قديمة (محمد,٢٠٢٥). كما تطرح الرواية تساؤلات فلسفية عميقة حول ماهية الذات وإمكانية التكامل بعد التشظي، مما يجعلها مادة بحثية ثرية تتجاوز حدود التحليل النفسي التقليدي لتلامس أسئلة الوجود والهوية الإنسانية.

تُعد رواية "ناعومي وأخواتها" للكاتب المصري هشام الخشن من الأعمال الأدبية العربية المعاصرة التي تقدم مادة ثرية للدراسة النفسية. فالرواية، التي صدرت في طبعتها الأولى عام ٢٠٢٣، تروي قصة ناعومي، المرأة الثرية الناجحة التي تجد نفسها فجأة محتجزة في مصحة عقلية بتدبير من زوجها وأخيها وأمها، بعد أن تآمروا عليها للاستيلاء على ثروتها. ولكن اللافت في الرواية أنها لا تكتفي بتناول الصراع الأسري والثقافة الشرقية الجماعية، بل تتعمق في البنية النفسية المعقدة للشخصية الرئيسة، التي تعاني من اضطراب الهوية التفارقي نتيجة صدمات متعددة تعرضت لها منذ الطفولة وحتى الرشد (الخشن,٢٠٢٣)

يكشف السرد عبر تقنية الاسترجاع *flashback* عن سلسلة الصدمات النفسية القاسية التي تعرضت لها ناعومي في طفولتها، والتي شكلت أرضية خصبة لنشوء

اضطراب الهوية التفارقي لديها؛ إذ عانت من غياب أمها التي تركتها لتعيش مع عائلتها الجديدة في لندن، ومن عملية ختان قسري تركت ندوبًا عميقة في نفسيتها، ومن عنف أخيها "سيد" الذي مارس سلطته عليها بوحشية، كما تعرضت في زيارتها لأمها لمحاولة اغتصاب من شقيقها غير الشقيق "آدم" وصديقيه، وكان أشد ما فاقم صدمتها موقف أمها التي اتهمتها بأنها السبب فيما حدث بدل أن تقدم لها الدعم والحماية. وقد شكلت هذه الخيانات والصدمات المتتالية أرضية لظهور الشخصيات البديلة كآلية دفاع نفسية لحماية الذات من الألم الذي لا يحتمل. وعبر جلساتها العلاجية مع الطبيب النفسي "عمر هاشمات"، تتكشف طبقات الصدمة المتراكمة ووظائف الشخصيات البديلة: "نوني" التي تخزن صدمة الطفولة المبكرة، و"نعيمة" التي تستوعب الخوف والقلق، و"ناعومي" التي تحمل الغضب والرغبة في الانتقام. وتثير الرواية من خلال شخصية زوجة الطبيب "لورا" تساؤلًا فلسفيًا مهمًا حول حقيقة هذه الشخصيات المتعددة: هل هي اضطراب نفسي حقيقي أم مجرد تمثيل ووعي مفرط بالذات؟ وهو تساؤل يضيف بُعدًا عميقًا للرواية ويجعلها مادة خصبة للدراسة والتحليل.

لم تكن رواية "ناعومي وأخواتها" – على حد علم الباحث – موضوعاً لدراسة أكاديمية سابقة تركز على اضطراب الهوية التفارقي من منظور علم النفس الأدبي، سواء في الأوساط الأكاديمية الإندونيسية أو المصرية أو العربية. غير أن هناك دراسات سابقة تناولت موضوعات قريبة يمكن الاستفادة منها.

استنادا إلى تتبع الدراسات السابقة في مكتبة جامعة جاكرتا الحكومية، تبيّن وجود عدد من الدراسات التي تناولت اضطراب الهوية التفارقي في الأعمال الأدبية، من بينها دراسة *(Sulistiawati, 2019)* التي حلّلت رواية *Les Masques* من خلال المنهج

التحليلي النفسي، وكذلك دراسة *(Zuriath, 2022)* التي تناولت شخصية يوشيزاكي ماري في دراما *Boku wa Mari no Naka* من منظور علم النفس الأدبي. وعلى الرغم من أهمية هاتين الدراستين، فإن الدراسة الأولى لم تعتمد على معايير تشخيصية منهجية مثل *DSM-5*، في حين استندت الدراسة الثانية إلى *DSM-IV*، مما جعل التحليل فيهما غير مكتمل من حيث الشمول والدقة العلمية.

شهدت الدراسات الحديثة اهتماما متزايدا باضطراب الهوية التفارقي في الأعمال الأدبية والسينمائية، حيث تناولت بعض البحوث تمثيلات هذا الاضطراب في السينما العالمية، كما في دراسة (محمد، ٢٠٢٥) التي حللت عددا من الأفلام، وبيّنت مظاهر الاضطراب مثل تعدد الهويات، وفقدان الذاكرة، والتغير في السلوك والاستجابات الجسدية. إلا أن هذه الدراسة لم تعتمد على المعايير التشخيصية الحديثة الواردة في *DSM-5*، مما جعل تحليلها أقرب إلى الوصف العام منه إلى التحليل المنهجي الدقيق.

وفي مجال الدراسات الأدبية، تناولت عدة أبحاث اضطراب الهوية التفارقي في الروايات، مثل دراسة (*Ramadhan, 2020*) التي حللت شخصية روائية تعاني من اضطراب الهوية التفارقي نتيجة صدمات نفسية، غير أنها اعتمدت على *DSM-IV-TR*، رغم صدور *DSM-5* الأحدث. كما أظهرت دراسة *(Buana & Hasanah, 2025)* و (*Ermiles, 2024*) و(*Riyani et al., 2022*) وجود اضطرابات تفارقية متعددة لدى الشخصيات الروائية، إلا أن هذه الدراسات لم تقدّم توصيفًا دقيقًا وشاملًا لخصائص اضطراب الهوية التفارقي، واكتفت بالإشارة إلى بعض مظاهره بشكل محدود، مما أثّر في عمق التحليل.

ومن ناحية أخرى، اتجهت بعض الدراسات إلى استخدام نظريات نفسية بديلة، مثل التحليل النفسي عند سيغموند فرويد، كما في دراسة (*Reinhardt, 2019*)، إلا أن هذا الاتجاه لا يفسّر بشكل كافٍ ظاهرة تعدد الهويات وما يصاحبها من اختلافات في الذاكرة والسلوك. كما اعتمدت دراسات أخرى على نظريات قديمة أو غير محدثة، أو ركزت على جوانب جزئية دون تقديم تحليل شامل، مثل دراسة (*Firmananda et al., 2022*) ، مما يدل على وجود قصور منهجي في معالجة هذا الاضطراب.

كما تناولت بعض الأبحاث الحديثة تمثيل اضطراب الهوية التفارقي في الأعمال الأجنبية، مثل دراسة (*Zaki, 2025*) التي أشارت إلى أن بعض الروايات تستخدم الاضطراب كأداة سردية أكثر من كونه آلية نفسية ناتجة عن الصدمة، وكذلك دراسة (*Salem et al., 2025*) التي ناقشت ظاهرة التظاهر بالاضطراب *(Malingering)*، إلا أنها لم تعتمد على أحدث النماذج النظرية. إضافة إلى ذلك، فإن بعض الدراسات، مثل (*Pratiwi et al., 2023*)، لم تتناول الجذور النفسية المبكرة للاضطراب، مما جعل تفسيرها للأسباب غير مكتمل.

استخدمت بعض الدراسات السابقة نظرية آليات الدفاع عن الأنا لسيغموند فرويد في تحليل الشخصيات الأدبية. فقد تناولت دراسة *(Pakaya et al., 2025)* آليات الدفاع عن الأنا لدى الشخصيات في ثلاث قصص قصيرة *Stephen King* ضمن كتاب "*Bazaar of Bad Dreams*"، وخلصت الدراسة إلى أن هذه الشخصيات تستخدم آليات دفاع متنوعة مثل: الإنكار *(denial)*، وتكوين العكس *(reaction formation)*، والإسقاط *(projection)*، والإزاحة *(displacement)*، والتفكير المنطقي *(rationalization)*، والكبت *(repression)*؛ وذلك بغرض التغلب على الصراعات

والضغوط النفسية التي تعاني منها. وتُظهر هذه الدراسات أن نظرية آليات الدفاع عن الأنا لفرويد تمتاز بأهمية بالغة في تحليل الديناميكيات النفسية للشخصيات الأدبية. بيد أنه لم يسبق أن طبقت هذه النظرية بشكل خاص على شخصية تعاني من اضطراب الهوية التفارقي *(DID)* في رواية "ناعومي وأخواتها" لهشام الخشن.

بناء على ما تقدم، تنبثق مشكلة هذا البحث من الحاجة إلى إجراء دراسة متعمقة لشخصية ناعومي من منظور علم النفس الأدبي، باستخدام نظرية التحليل النفسي لسيغموند فرويد مع التركيز على آليات الدفاع النفسي للأنا *(ego defense mechanisms)* ، مع الاستعانة بالمعايير التشخيصية الحديثة *(DSM-5)* كأداة مساعدة في تحليل اضطراب الهوية التفارقي الذي تعاني منه. فمعظم الدراسات النفسية للأعمال الأدبية تتوقف عند وصف الظاهرة بشكل عام أو سطحي، دون الرجوع إلى معايير تشخيصية واضحة وحديثة.

أما رواية "ناعومي وأخواتها" فتوفر مادة غنية لمثل هذا البحث، نظراً لما تحتويه من تفاصيل دقيقة حول أعراض الاضطراب، والصدمات المسببة له، والديناميكية الداخلية بين الشخصيات البديلة. وتكمن أهمية هذه الدراسة في إسهامها في فهم كيفية تمثيل الأدب للاضطرابات النفسية المعقدة، وفي تقديم نموذج تطبيقي لاستخدام *DSM-5* في تحليل الشخصيات الأدبية. ومن ثم، فإن هذه الدراسة تثري مجال علم النفس الأدبي في الخزانة الأكاديمية العربية.

لذلك، يهدف هذا البحث إلى دراسة اضطراب الهوية التفارقي لدى الشخصية الرئيسة في رواية "ناعومي وأخواتها" لهشام الخشن: دراسة في علم النفس الأدبي، وذلك من خلال تحليل مظاهر الاضطراب باستخدام آليات الدفاع عن الأنا كما

تظهر في شخصية ناعومي، وتتبع العوامل المسببة (*etiologi*) له وارتباطها بالصدمات النفسية التي تعرضت لها منذ الطفولة حتى الرشد، وتحليل الشخصيات البديلة ("الأخوات") ووظائفها وعلاقاتها المتبادلة، ودراسة الديناميكية النفسية للصراع الداخلي الذي تعيشه.

ستعتمد هذه الدراسة على نظرية آليات الدفاع عن الأنا لسيغموند فرويد، بالإضافة إلى الدليل التشخيصي والإحصائي للاضطرابات النفسية *(DSM-5)* كمرجع مساعد في تحليل هذا الاضطراب، إلى جانب مصادر نفسية وأدبية أخرى.

ب. تركيز البحث وفرعيته

يركز هذا البحث على اضطراب الهوية التفارقي (*Dissociative Identity Disorder*) في شخصية ناعومي، الشخصية الرئيسة في رواية "ناعومي وأخواتها" لهشام الخشن، من منظور علم النفس الأدبي. وتحلل من خلال منهج التحليل النفسي ل *Sigmund Freud* فيما يتعلّق بآليات الدفاع النفسي للأنا.

أما فروع البحث فتتمثل في: أشكال آليات الدفاع عن الأنا التي تظهر على شخصية ناعومي بناءً على آليات الدفاع التسعة لدى *Sigmund Freud* ، وكذلك تحليل الأعراض التي تظهر على شخصية ناعومي والتي تشير إلى وجود اضطراب تعدد الشخصيات *DID*، وذلك وفقاً للمعايير التشخيصية الواردة في الدليل التشخيصي والإحصائي للاضطرابات النفسية *(DSM-5)*.

ج. تنظيم المشكلة وأسئلة البحث

يركّز هذا البحث على دراسة البنية النفسية للشخصية الرئيسة في رواية ناعومي وأخواتها. ولتحقيق ذلك، تم تنظيم مشكلة البحث في سؤالين رئيسيين مترابطين ، تبدأ بالكشف عن الجانب التشخيصي للاضطراب، ثم تليها دراسة آليات الدفاع النفسي:

١. كيف تظهر أعراض اضطراب الهوية التفارقي على شخصية ناعومي، وما العوامل المسببة (*etiologi*) لهذا الاضطراب وفقاً لمعايير الدليل التشخيصي والإحصائي للاضطرابات النفسية (*DSM-5*)؟
٢. ما أشكال آليات الدفاع عن الأنا (*Ego Defense Mechanisms*) التي تستخدمها شخصية ناعومي في رواية "ناعومي وأخواتها" وفق نظرية *Sigmund Freud*؟

د. أهداف البحث

١. الكشف عن أعراض اضطراب الهوية التفارقي التي تظهر على شخصية ناعومي، وتحديد العوامل المسببة (*etiology*) لهذا الاضطراب، وذلك وفقاً لمعايير الدليل التشخيصي والإحصائي للاضطرابات النفسية *DSM-5.*
٢. تحليل أشكال آليات الدفاع عن الأنا التي تستخدمها شخصية ناعومي للتغلب على الصراعات والضغوط النفسية، بالاستناد إلى نظرية *Sigmund Freud.*

هـ. أهمية البحث

تتمثل الأهمية النظرية لهذه الدراسة في إسهامها في إثراء الرصيد المعرفي العربي في مجال علم النفس الأدبي، ولا سيما الدراسات التي تربط بين التحليل النفسي السريري وتحليل النصوص الأدبية. وتقدّم هذه الدراسة نموذجًا تطبيقيًا لاستخدام *DSM-5* في تحليل الشخصيات الأدبية العربية، كما تسهم في تعميق الفهم النظري لاضطراب الهوية التفارقي من خلال تمثلاته السردية. وبذلك، لا تقتصر هذه الدراسة على الإسهام في تطوير كلٍّ من علم النفس والأدب فحسب، بل تفتح أيضًا آفاقًا جديدة للدراسات البينية التي تجمع بين الطب النفسي، وعلم النفس، والنقد الأدبي في السياق العربي.

أما الأهمية التطبيقية لهذه الدراسة فتتمثل في إسهامها في مساعدة الباحثين والدارسين في مجالي الأدب وعلم النفس على فهم آليات تحليل الشخصيات الأدبية من منظور نفسي سريري، مع تقديم قراءة معمّقة لرواية «ناعومي وأخواتها» تُثري فهم القارئ لأبعادها النفسية والفنية. كما تسهم هذه الدراسة في تعزيز وعي المجتمع باضطراب الهوية التفارقي، ولا سيما في الأوساط العربية التي لا يزال هذا الاضطراب غير معروف فيها على نحو كافٍ، الأمر الذي قد يساهم في الحدّ من الوصمة المرتبطة بالأمراض النفسية. وإضافة إلى ذلك، تثري هذه الدراسة العملية التعليمية في مقررات النقد الأدبي وعلم النفس من خلال تقديم مادة تطبيقية يمكن الإفادة منها في التدريس، كما تحفّز على إنجاز دراسات مماثلة حول أعمال أدبية عربية أخرى، بما يسهم في توسيع وتعميق مجال علم النفس الأدبي في العالم العربي.